

ماسح الأحذية

على مقعد خشبي صغير
صغير جدا
لا يكاد يتسع لشخص واحد
اتخذ مجلسه على الرصيف
وأمامه صندوق أكبر قليلا
يحتوى على بعض علب المورنيش ،
وفرشاة مستطيلة ،
وقطعة قماش متهرئة ، فقدت لونها
وراج ينظر كعادته إلى أقدام المارة
دون أن يرفع بصره إلى وجوههم

وعندما يتقدم إليه واحد منهم
يضع حذاءه فوق الصندوق
من غير أن يطلب إليه ما ينبغى فعله
أما هو فإنه يعلم جيدا
ما ينبغى عمله
وعلى الفور يبدأ بتنظيف الحذاء بالمقماشة
ثم يضع عليه لحسة ورنيش
ويحرك عليها الفرشاة ذهابا وإيابا
بصورة آلية
حتى يبدأ جلد الحذاء فى اللمعان
عندئذ يدق بظهر الفرشاة على الصندوق
منبها صاحبه لكى يسحب قدمه ،
ويضع الأخرى فى مكانها
وبعد إتمام العمل
يتلقى من صاحب الحذاء
ما يجود به عليه

دون أن ينظر فى مقدار المبلغ الضئيل

الذى يعطيه له
بل إنه فى كثير من الأحيان
يقبله بضمه ،
ثم يلمس به جبينه
قبل أن يودعه فى أحد أدراج المصندوق

أحيانا يمر عليه أكثر من زيون
وفى بعض الأحيان ،
قد يمضى الميوم بطوله
دون أن يمسخ حذاء أو اثنين!

وقد رأيتة أكثر من مرة ،
وعندما لا يكون لديه زيائن ،
يتجه نحو أقرب مقهى

ويجلس على الأرض
ثم يطلب من المجرسون كوب شاي بالحليب
ويظل يرشقه بهدوء
حتى ينتهى منه

لم ألاحظه أبدا يشكو، أو يتذمّر..
ويبدو أنه راض تماما عن حاله
ولما يتطلع لتغيير مهنته أو تطويرها.
و ذات يوم سألته:
— هل لديك أسرة ؟
— الحمد لله:
زوجة وأربعة أبناء
ولدين وبننتين
— وهل يذهبون إلى المدرسة ؟
— طبعا يا بيه
— وكيف حالهم ؟

— بخير .. لكن ما يتعبنا
هى حاجتهم إلى الدروس الخصوصية
ثم أضاف:
مثل باقى زملائهم
وحضرتك عارف حال التعليم!
وتجرات قليلا ، فسألته:
— وما رأيهم فى مهنة والدهم ؟
هنا تنهد طويلا ، ثم قال:
— إنهم غير راضين عنها
لكن ماذا نفعل ؟!

إنها مصدر رزقنا
وأنا أصدر عليهم منها
وعلى فكرة ، أنا أقول لهم دائما:
حين تكبرون وتعملون
سوف أتوقف عنها تماما
حتى لا أسبب لكم أى إحراج..

أعجبت كثيرا بحكمة الرجل
كما دفعنى حديثه إلى أن أجزل له
أجر تلميع الحذاء بأكثر من المعتاد
وهنا رفع رأسه ، المتجه دائما نحو الأرض ،
وراح يدعو لى بسعة الرزق ،
وطول العمر
